

المحاضرة الثانية: الدراسة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية والقبائل العربية، وشمال

إفريقيا

تمهيد: إنّ من أقدم الأمم بعد قوم نوح العرب العاربة، فهم أول أجيال العرب من الخليقة، فتميزوا بالقوة والشدة، نظرا لملوكهم ودولهم العظيمة، فملوك جزيرة العرب - وهي الأرض التي يحدها بحر الهند جنوبا، وخليج الحبشة غربا، وخليج فارس شرقا، وفيها اليمن والشحر وحضر موت- امتدّ ملكهم إلى الشام ومصر. ويقال: إنهم انتقلوا إلى جزيرة العرب من بابل لما زاحمهم فيها بنو حام، فسكنوا جزيرة العرب بادية مخيّمين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك، إلى أن غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان، وهؤلاء العرب العاربة شعوب كثيرة وهو: عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وأميم، وحضر موت...¹ ولعلّ الغاية من الدراسة الجغرافية للجزيرة العربية هي تتبع الاختلاف اللهجي وتطور اللغة بين قبائلها.

أولا: الجزيرة العربية:

الجزيرة العربية أو جزيرة العرب، أو شبه الجزيرة العربية كلها أسماء للدلالة على مكان واحد. وتحتل شبه جزيرة العرب القسم من جنوب غرب آسيا، الذي يقع بين دائرتي عرض 12.5 - 30 درجة شمالا تقريبا، وتبلغ مساحتها نحو ثلاثة ملايين كيلومترا مربعا. وأرضها رباعية الشكل.

وتتمتع شبه الجزيرة بموقع جغرافي متميز، وقد اقتضت إرادة الله سبحانه أن يختارها لرسالته فمنها انطلقت الدعوة إلى الإسلام. هذا من جهة ومن جهة أخرى

¹ - ينظر تفصيل الحديث عن هذه الشعوب وتاريخها، الشيخ أحمد مغنية، تاريخ العرب القديم، دار الصفاة، بيروت، ط1: 1414هـ/1994م، ص 10. بتصرف

كانت التجارة هي المورد الأساسي لشبه الجزيرة العربية، ومن المعروف أنّ: «المناطق الواقعة على مسالك التجارة تتأثر أكثر من غيرها بعوامل من الخارج، وهذا هو الحال منذ القدم، واسم العربية أو جزيرة العرب، أطلقه عليها الرومان والإغريق، وامتدادها إلى البوادي والحوضر الشمالية المتاخمة (المجاورة) للعراق والشام ومصر. إذ أنّ هذه البلاد الصحراوية؛ القليلة الموارد، استرعت اهتمام الممالك ذات المصالح التجارية الكبرى في العالم القديم منذ بدء التاريخ، وذلك بسبب موقعها الجغرافي الفريد على ملتقى الطرق بين عالم المحيط الهندي ومتفرعاته من جهة، وعالم البحر الأبيض المتوسط ومتفرعاته من جهة أخرى.»¹

وقبل أن تتحدد رقعة الجزيرة العربية، عمدت الدول الفاتحة قديما إلى ضبط ما تيسر ضبطه من أطراف بلاد العرب الواسعة، وإلى مد نفوذها قدر المستطاع إلى ما نأى من مناطقها الداخلية، وذلك ليس طمعا في مواردها الطبيعية الضئيلة، بل محاولة للتحكم في مسالك البحار المحيطة بها من الشرق والجنوب والغرب، وفي درب القوافل الممتدة عبر أرجائها الوعرة القاحلة. فقد شكلت الممر الطبيعي بين المراكز البارزة لحضارات العالم القديم في العراق وبلاد فارس، وما يليها برّا إلى الشمال والشرق من ناحية، وفي بلاد الشام ومصر والأناضول وما يليها برّا وبحرا إلى الغرب من ناحية أخرى، سواء في أوروبا أم في إفريقيا.²

¹ - كمال سليمان الصليبي، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، ط1: 1984/1404م، 344.

² - نفسه. بتصرف

ولو جئنا إلى تحديد دول شبه الجزيرة العربية، لوجدناها تتضمن عددا من الممالك والسلطنات والجمهوريات والإمارات المستقلة هي: المملكة العربية السعودية، والجمهورية العربية اليمنية، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وسلطنة عمان، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وإمارة قطر، وإمارة البحرين، وإمارة الكويت¹.

كما لاننسى أن موقعها الجغرافي المميز، اختاره الله عز وجل ليكون منطلقا للرسالة المحمدية والدعوة إلى الإسلام. فلقد كانت مكة ذات موقع فريد، فهي في واد حصين، تحيط به المرتفعات، وتقع على طريق التجارة بين شمال شبه الجزيرة وجنوبها، مما سهل اتصالها بمختلف أنحاء شبه الجزيرة وبالبحر، ومنه نستطيع أن نفهم كيف تمكن الإسلام من الانتشار إلى شتى أرجائها، كما سهل على المسلمين الهجرة إلى الحبشة عن طريق البحر، فكانت بمثابة قاعدة للدعوة الإسلامية - خاصة بعد الفتح الأكبر - ينطلق منها الدعاة والمجاهدون الذين كان يرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى قلب شبه الجزيرة وشمالها وجنوبها وشرقها، ومن هذا المقر القدسي خرجت جحافل المجاهدين لتدخل نور الإسلام إلى الحيرة، والعراق والشام، ثم إلى بلاد فارس، ومصر، وبلاد شمال إفريقيا غربا². وبعد حديثنا عن شبه الجزيرة العربية ننتقل للحديث عن قبائلها.

يتبع...

¹ - جوده حسين جودة، شبه الجزيرة العربية، دراسة في الجغرافية الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص 09

² - نفسه، ص 09. بتصرف.